

حديث القرآن الكريم عن الحواريين

دراسة تحليلية موضوعية

دكتور

يحيي عبد الحي عبد الرحيم عفيفي

مدرس التفسير وعلوم القرآن

جامعة الأزهر

المقدمة

الْحَمْدُ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ الله فَلاَ مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ ، وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (/ آل عمران١٠٢).

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَّ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَّ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (النساء/ ١) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَّ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَّ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)(٧٠ـ٧١) الأحزاب (١) [1]

وبعد ..

فقد أخذت القصة القرآنية مساحة واسعة من القرآن الكريم ، وجاء القصص القرآني لأهداف نبيلة واغراض سامية ، مجموعة في قوله تعالى (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) (١١١/ يوسف) .

ومن قصص القرآن الكريم قصة الحواريين ، فجاءت هذه الوريقات في التعريف بهم ،وبيان حقيقة إيمانهم ، وقد اعتمدت في هذا البحث ـ بعد الله تعالى ـ على ما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة بشأنهم ، ولم أعول على كتب النصارى ، ولم أحاول أن أوازن بين ما جاء

---

(١) هذه تسمى خطبة الحاجة ، يلقيها الإنسان عندما يكون له حاجة ، سواء كانت زواجا أو غيره من الأمور التي يحتاجها الإنسان في دينه ودنياه ،وقد أخرجها الترمذي في جامعه ، في أبواب النكاح ، باب ما جاء في خطبة النكاح ،والنسائي في سننه في كتاب الجمعة ،باب كيفية الخطبة .

فيها وما جاء في القرآن الكريم ،لأن الموازنة بينهما غير عادلة ، إذ كيف أوازن بين المحفوظ من التحريف والتبديل وبين المحرف .

وقد ظهرت فكرة هذا البحث حين سمعت من أحد الناس يقول: إن حوارى عيسى عليه السلام غير مؤمنين ، قال ذلك القول مستيقنا به 'ومعرضا بأن من يعتقد غير هذا ليس على صواب ،لأن القول بإيمانهم ليس له مستند صحيح .

وكانت هذه أول مرة أسمع فيها أن هناك من يشكك في إيمان الحواريين ،فتاقت نفسى إلى بحث الأمر في كتب التفسير ' هل حكت خلافا بين المفسرين في إيمانهم ' فكان هذا البحث الذى جاء مشتملا على تمهيد ومبحثين وخاتمة

أما التمهيد فخصصته لبيان المعني اللغوي لكلمة الحواريين ومواضع ذكرهم في القرآن الكريم .

المبحث الأول : الحواريون والمائدة .

وتحته مطالب :

المطلب الأول : مفهوم المائدة .

المطلب الثاني : سبب طلب الحواريين للمائدة ، ولماذا أرادوها من السماء.

المطلب الثالث : موقف المفسرين من نزولها وعدمه .

المطلب الرابع : ما حوته المائدة

المطلب الخامس : العبرة من قصة المائدة .

المبحث الثالث : إيمان الحواريين .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : الآيات التى تحدثت عن إيمان الحواريين

المطلب الثانى : موقف المفسرين من إيمان الحواريين .

الخاتمة وفيها أهم النتائج والتوصيات .

وقد اتبعت في عملي هذا القواعد العلمية المتعارف عليها ، فقمت بعزو الآيات الكريمة إلى مواضعها في المصحف ، وخرجت الأحاديث الشَّريفة من مصادرها محاولاً التَّركيز على ما في الصَّحيحين أو أحدهما ، ونسبتُ الأقوال إلى أصحابها ، كما ترجمتُ للأعلام الذين ورد ذكرهم في البحث .

وأسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يبيض به وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه .

"رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ "(١)

(١) البقرة: ٢٨٦ .

التمهيد
المعنى اللغوي لكلمة الحواريين.
ومواضع ذكرهم في القرآن الكريم .

المعاني اللغوية لكلمة الحواريين

الحواريون مفرد حواري ، أصله (ح ، و ، ر) .

يقول ابن فارس(١):الحاء ، والواو ، والراء ، ثلاثة أصول : أحدهما لون ، والآخر الرُّجوع، والثالث أن يدور الشيء دَوْراً (٢).

فالأصل الأول وهو اللون ، مأخوذ من حَوَرَ بالتحريك وهو شدة بياض في العين وشدّةِ سوادِها (٣) ، ويقال: حورت الثوب إذا غسلته وبيضته(٤) ، ويقال للنساء البيض حَوريّات(٥) ، والأَحْوَري : الأبيض الناعم(٦) ، ويرى بعض علماء اللغة أن الحور لا يطلق على الإنسان ،

(١) أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب أبو الحسين اللغوي القزويني، له مصنفات كثيرة جليلة منها :المقاييس والمجمل وفقه اللغة ، مات سنة ٣٩٥ بالري ، ينظر ترجمته في: البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت – ١٤٠٧ (١/ ٧) وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة (١/ ٣٥٢)

(٢) معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، طبعة الحلبى ، الثانية ، ١٩٧٠م (٢/ ١١٥) .

(٣) تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد مرتضى الزبيدي ،تحقيق : عبدالكريم الغرباوي ،طبعة وزارة الإعلام بالكويت ،١٩٧٢م (١١/ ١٠٠)

(٤) تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري ،تحقيق :عبدالله درويش ،الدار المصرية للتأليف والترجمة ،(٥/ ٢٢٨) .

(٥) أساس البلاغة ،للزمخشري ،دار الكتب ـ مصر (١٩٧٢)،ص ٢٠٥

(٦) لسان العرب ، : محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت ،١٩٩٠م ،(٣/ ١٨٣) .

وإنما يطلق عليه على سبيل المجاز ، جاء في المخصص : وليس في بني آدم حَوَر ، وإنما قيل للنساء حُور العُيُون لأنهن شُبِّهْن بالظباءِ والبَقَر(١) ، وجاء في تاج العروس :

الحَوْر : أن يكون البياض محدقا بالسواد كله ، وإنما يكون هذا في البقر والظباء ، (بل يستعار لها ، أي لبني آدم (٢) وعلى هذا الأصل سمى حواري عيسى عليه السلام بذلك نسبة إلى مهنتهم الخاصة وهى تحوير الثياب أي: تبيضها ، يقول الأزهري (٣)وإنما سموا حواريين لأنهم كانوا يغسلون الثياب ،يحورونها وهو البيض (٤).

وروى ابن أبى حاتم (٥) ، عن الضحاك (٦) ، قال: مَرَّ عِيسَى بِقَوْمٍ غَسَّالِينَ فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ

---

(١) معجم المقاييس (٢/ ١١٦).

(٢) تاج العروس (١١/ ١٠٠) .

(٣) محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري اللغوي، كان رأسا في اللغة والفقه ، من مصنفاته : تهذيب اللغة ،وعلل القراءات ، و تفسير إصلاح المنطق ، سنة ٣٧٠ عن ثمان وثمانين سنة ، ينظر ترجمته في : بغية الوعاة (١/ ١٩) و سير أعلام النبلاء (١٦/ ٣١٥) .

(٤) تهذيب اللغة (٥/ ٢٢٩) .

(٥) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر ،الامام الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، من نظراء البخاري ومن طبقته ،ومن تصانيفه: التفسير المسند في اثني عشر مجلدا، وكتاب الجرح والتعديل يدل على سعة حفظه وإمامته ، وكان من كبار الصالحين لم يعرف له ذنب قط ولا جهالة طول عمره وتوفي في شهر المحرم سنة ٣٢٧هـ ، ينظر ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧) وطبقات المفسرين للأدنروي ص ٦٥.

(٦) الضحاك بن مزاحم الهلالي ، لقى جماعة من التابعين ولم يشافه أحدا من أصحاب رسول الله ،منهم سعيد بن جبير الذى أخذ عنه التفسير، مات ١٠٢ هـ ينظر ترجمته في الثقات لابن حبان (٦/ ٤٨١) وتهذيب التهذيب لابن حجر (٤/ ٣٩٧) .

فَأَجَابُوهُ، فَلِذَلِكَ سَمَّاهُمُ الْحَوَارِيِّينَ (١) أو لأنهم كانوا يلبسون الثياب البيض ، ذكر البغوي (٢) ، عن السدي (٣)سموا حواريين لبياض ثيابهم (٤) .

وبهذه النسبة يكون إطلاق لفظ الحواريين على أمر حسي ، وهو مهنتهم أو لبسهم الثياب البيض ، وقد اختار الطبري (٥)هذا الإطلاق فيقول :وأشبه الأقوال التي ذكرنا في معنى(الحـواريين)،

---

(١) تفسير القرآن العظيم ،لابن أبى حاتم، طبعة مصطفى الباز، الرياض ،١٩٩٧م (٢/ ٦٥٩)

(٢) محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي ، المفسر الأمام العلامة القدوة الحافظ، ، وله من التصانيف :(معالم التنزيل) في التفسير، وشرح السنة ، و التهذيب في الفقه ، ينظر ترجمته في : *طبقات المفسرين ،عبد الرحمن* بن أبي بكر السيوطي ،مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الإولى ، ١٣٩٦ ص ٣٨ وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩) .

(٣) إسماعيل بن عبدالرحمن السدي، تابعي حجازي الأصل، سكن الكوفة، إمام عارف بالوقائع وأيام الناس، من مصنفاته :التفسير، والمغازي والسير، توفي سنة ١٢٨ هـ ينظر ترجمته في : الطبقات الكبرى

محمد بن سعد، دار صادر – بيروت (٦/ ٣٢٣)

(٤) تفسير البغوى (معالم التنزيل) ،الحسين بن مسعود البغوى ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٩٧م ،(٢/ ٤٣) .

(٥) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير والتاريخ والمصنفات الكثيرة ،كان مجتهداُ لا يقلد أحداُ ، قال عنه ابن خزيمة ما أعلم على الأرض أعلم من محمد بن جرير ، توفى سنة ٣١٠هـ ، ينظر ترجمته في : طبقات المفسرين للسيوطي ص ٨٢ ،و طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنروي مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ١٩٩٧م تحقيق سليمان الخزى ص ٤٨

قولُ من قال: سموا بذلك لبياض ثيابهم، ولأنهم كانوا غسّالين وذلك أن الحوَر عند العرب شدة البياض (١) .

وقيل : إن المقصود إطلاق التسمية على أمر معنوي إذ أصل الحَوْر مشتق من البياض ، وهو الصفاء والنقاء باعتبار أن لون البياض أصفى الألوان ، فكأنه شبه نقاء قلوبهم بالثوب الأبيض ، يقول الرازي (٢)وقيل لأن قلوبهم كانت نقية طاهرة من كل نفاق وريبة فسموا بذلك مدحاً لهم، وإشارة إلى نقاء قلوبهم كالثوب الأبيض ، وهذا كما يقال فلان نقي الجيب طاهر الذيل إذا كان بعيداً عن الأفعال الذميمة وفلان دنس الثياب إذا كان مقدماً على ما لا ينبغي (٣) .

أو لما يظهر على وجوهم من نور الإيمان ، ذكر أبو حيان (٤)عن ابن المبارك (٥): الحوار النور

---

(١) تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)،محمد بن جرير الطبري، تحقيق : أحمد شاكر ،مؤسسة الرسالة ، ٢٠٠٠م (٦/ ٤٥٠).

(٢) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي ،الإمام فخر الدين الرازي القرشي البكري ، المفسر المتكلم ، من تصانيفه : التفسير الكبير ، والمحصول في الفقه ، توفى سنة ٦٠٦ هـ ، ينظر ترجمته في : طبقات المفسرين للسيوطي ص ١٠٠، وطبقات المفسرين للأدنروى ص ٢٥٦.

(٣) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، فخر الدين محمد بن عمر الرازي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت،٢٠٠٠م ،(٨/ ٥٦) .

(٤) أبو حيان الأندلسي :محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي، من أئمة النحو واللغة والتفسير والقراءات، أكثر من التصنيف في شتى الفنون، من مصنفاته :البحر المحيط في معاني القرآن العظيم و تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، توفي سنة ٧٤٥هـ ، ينظر ترجمته في : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،جلال الدين عبد الرحمن السيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية لبنان / صيدا (١/ ٢٨٠)، وسير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥٠) .

(٥) عبد الله بن المبارك بن واضح ، التميمي ، أبو عبد الرحمن، الحافظ، شيخ الاسلام، المجاهد التاجر، جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء ، توفى سنة ١٨١هـ ، ينظر ترجمته في : : تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان ،الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م (١/ ٢٠٣) والأعلام ،خير الدين الزركلي ' دار العلم للملايين (٤/ ١١٥).

، ونسبوا إليه لما كان في وجوههم من سيما العبادة ونورها (١) ، وذكر الراغب الأصفهاني (٢)أنهم سموا بذلك لأنهم يطهرون نفوس الناس بإفادتهم الدين والعلم (٣).

والأصل الثاني :وهو الرجوع مأخوذ من حور بفتح الحاء وسكون الواو، وهو الرُّجوعُ إلى الشّيءِ وعَنْه ،والمُحاورةُ مُراجَعة الكلام وفي الحديث:(وَمَنْ دَعَا رَجُلاً بِالْكُفْرِ أَوْ قَالَ عَدُوَّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلاَّ حَارَ عَلَيْهِ (٤) أي :رَجع عليه ما نَسَبَ إليه(٥)

وبهذه النسبة يكون إطلاق كلمة(الحواريين)على معنى المراجعة والدقة في الاختيار حتى يتبين صدق إيمان المختار ونقاء سريرته وصفاء قلبه ،وقد أشار إلى هذا المعنى الزجاج (٦) وتأويل الحواريين في اللغة :الذين خْلصوا ونُقوا من كل عيب، وكذلك الحُوَّارى من الدقيق، سمي به

(١) تفسير أبى حيان (البحر المحيط) ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،٢٠٠١م (٢/ ٤٩٥) .

(٢) الحسين بن محمد بن المفضل الإمام أبو القاسم الراغب الأصفهاني ، من مؤلفاته : مفردات القرآن لا نظير له في معناه، والذريعة إلى أسرار الشريعة ، توفى سنة ٥٠٢هـ ، ينظر ترجمته في : البلغة فى تراجم أئمة النحو واللغة ص ١٩ ،والأعلام (٢/ ٢٥٥) .

(٣) المفردات في غريب القرآن ، أبو القاسم الحسين بن محمد ،الراغب الأصفهاني ، دار المعرفة ـ بيروت ،١٣٧٩هـ ص ١٣٥

(٤)أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ،باب بيان حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم

(٥) ينظر :فتح البارى شرح صحيح البخارى ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، دار المعرفة ـ بيروت ،١٣٧٩م (١٠/ ٤٦٦).

(٦)الزجاج :إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، من أكابر علماء العربية والمكثرين من التصنيف فيها، من مصنفاته :تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب ، ومعانى القرأن ، توفي سنة ٣١١هـ ، ينظر ترجمته في : بغية الوعاة (٢/ ٢٧٦) وطبقات المفسرين للأدنروى ص٥٣ .

لأنه ينقى باللباب البر.... وتأويله في الناس..الذي قد روجع في اختياره مرة بعد أخرى، فوُجد نقيا من العيوب(١)

وعلى هذا فالحواريون هم صفوة الأنبياء الذين وخاصتهم(٢) ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم :(إن لكل نبي حواريا وإن حواري الزبير بن العوام) (٣)(٤) أي :صفوتي وخاصتي (٥) . وذكر بعض أئمة اللغة أن بداية اطلاق لفظ (الحوايين) كان أنصار عيسى عليه السلام ، ثم غلب إطلاق هذا اللفظ على كل ناصر ومؤيد للأنبياء ،جاء في (التهذيب) : قال أبو عبيد (القاسم بن سلام (٦)يقال ـ الله أعلم ـ إن أصل هذا كان بَدْؤه من الحواريين أصحاب عيسي عليه السلام ، وإنما سموا حواريين ؛ لأنهم كانوا يغسلون الثياب أي :يحورونها ، وهو التبيض

---

(١) تاج العروس (١١/ ١٠٣).

(٢) لسان العرب (٤/ ٢١٧).

(٣) هو الزبير بن العوام بن خويلد، القرشي الأسدي، أمه صفية بنت عبدالمطلب، عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن أخى خديجة بنت خويلد، أسلم وهو ابن خمس عشرة سنة، وكان رابعًا أو خامسًا فى الإسلام، هاجر الهجرتين، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من العشرة المبشرين بالجنة، قتله ابن جرموز سنة ست وثلاثين من الهجرة. ينظر أسد الغابة فى معرفة الصحابة لابن الأثير ١/ ٣٧٩.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التمنى ، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير طليعة وحده ،ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل طلحة والزبير .

(٥) الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ، دار المعرفة ـ لبنان (١/ ٣٣٥) .

(٦) القاسم بن سلام – بتشديد اللاّم – أبو عبيد ،كان إمام أهل عصره في كل فن من العلم ،وله من التصانيف : غريب القرآن غريب الحديث ، معاني القرآن ، توفى سنة ٢٢٣ أو٢٢٤هـ ينظر ترجمته في :بغية الوعاة (٢/ ٢٥٤)،و تذكرة الحفاظ (٢/ ٥).

.... فلما كان عيسي عليه السلام نصره هؤلاء الحواريون ، فكانوا أنصاره دون الناس قيل لكل ناصر نبيه حواري، إذا بالغ في نصرته تشبيها بأولئك(١).

وقيد بعض العلماء اطلاق هذا اللفظ على حوارى محمد صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام فقط (٢) ولعل ـ والله أعلم ـ اطلاق اللفظة وعدم تقييدها أولى لحديث النبي صلى الله عليه وسلم (لكل نبي حوارى) فالحديث يشير أن اللفظ عام يطلق على كل ناصر للأنبياء ،ولقوله صلى الله عليه وسلم (مَا مِنْ نبي بَعَثَهُ اللهُ في أُمَّة قبلي إلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ،مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ)(٣) .

الآيات التي تحدثت عن إيمان الحواريين.

تحدث القرآن الكريم عن الحواريين في أربعة مواضع ، في سور : آل عمران، والمائدة، والصف ،وذكر لفظ الحواريين خمس مرات ،منصوبا مرتين، ومرفوعا ثلاثا.

الموضع الأول :فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِّ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِّ آمَنَّا بِاللهِّ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُّ وَاللهُّ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ(٥٢ــ٥٤)آل عمران

(١) تهذيب اللغة (٥/ ٢٢٨ـ٢٢٩) .

(٢) المحيط في اللغة ، الصاحب بن العباد ' تحقيق محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب ـ بيروت (٣/ ٢٠٢) .

(٣) رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب كون النهى عن المنكرات من الإيمان

جاءت هاتان الآيتان في معرض الحديث عن موقف قوم عيسى عليه السلام منه حين دعاهم إلى الإيمان ،فتابعه قوم وخالفه آخرون ، فأعرضوا عن الهدى والبينات ، فضلوا على علم وظهر منهم الكفر البين ، واعوجوا عن الصراط المستقيم(١)

(فلما) تعقيب على المعجزات التي جاء بها عيسى عليه السلام ،وبيان لموقف قومه منه بعد أن أظهر لهم من دلائل نبوته ما أظهر (وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهَّ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهَّ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَطِيعُونِ إِنَّ اللهَّ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ)

(٤٩ـ٥١)آل عمران

(أحس عيسى منهم الكفر)الإحساس عبارة عن وجدان الشيء بالحاسة وههنا وجهان أحدهما : أن يجري اللفظ على ظاهره ، وهو أنهم تكلموا بالكفر، فأحس ذلك بإذنه والثاني : أن نحمله على التأويل ، وهو أن المراد أنه عرف منهم إصرارهم على الكفر ، وعزمهم على قتله ، ولما كان ذلك العلم علماً لا شبهة فيه ، مثل العلم الحاصل من الحواس ، لا جرم عبر عن ذلك العلم بالإحساس (٢) يقول الزمخشري (٣)فلما علم منهم الكفر علماً لا شبهة فيه كعلم ما يدرك

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٥م، (٢/ ٦٠).

(٢) تفسير الرازي ٣/ ٣١٩

(٣) محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي ،المعتزلى ، وقد في غاية المعرفة بفنون البلاغة وتصرف الكلام ،من مصنفاته : الكشاف ، الذى يعد حجة في البلاغة ، والفائق في غريب الحديث ، توفى سنة٥٣٨هـ ، ينظر ترجمته في : لسان الميزان ،لابن حجر العسقلاني ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت

بالحواس[1]، فرغم عظمة المعجزات وقوة الدلائل ظلوا على كفرهم وأصروا عليه ، والضمير في منهم يعود لبنى اسرائيل[2]

والآية الكريمة تشير إلى أن الكافرين كانوا هم الكثرة الكاثرة من بنى إسرائيل ، بدليل أنه – سبحانه – نسب الكفر إليهم في قوله { فلما أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الكفر [3]

واختلف العلماء في سبب طلب عيسى عليه السلام النصرة من قومه إلى ثلاثة أقوال :

القول الأول :أنه عليه السلام لما دعا قومه إلى الله تعالى ،أخرجوه من بينهم هو وأمه ،فنزل في قرية على رجل أحسن ضيافتهما ،وفى ذات يوم أصبح هذا الرجل حزينا ،وذلك لأن ملك هذه القرية يجبر كل يوم رجل منها على اطعامه هو وجنوده ، فلما كانت نوبة هذا الرجل لم يكن عنده ما يكفى ،فطمئنه عيسى فببركة دعائه كثر الطعام والشراب كثرة عجيبة ، فلما علم الملك بذلك طلب من عيسى أن يدعوا الله لإحياء ابنا له قد مات ،فدعا عيسى ،فأحياه الله تعالى ، ولم يكن أهل هذه القرية يريدون هذا الابن لأنه سيكون خلفا لأبيه الجبار ’فأرادوا قتل عيسى لأنه سبب احيائه ’حينئذ استنصر قومه ، فمرّ بالحواريين وهم يصطادون السمك، فقال: ما تصنعون؟

الطبعة الثالثة ، ١٤٠٦ – ١٩٨٦(٦/ ٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ،تحقيق إحسان عباس ، دار صادر – بيروت

(١) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، محمود بن عمر الزمخشري ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،(١/ ٤٣٧).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ،(تفسير البيضاوي) ناصر الدين أبو سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي ، تحقيق :محمد عبدالرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ت بيروت ،١٤١٨هـ (١/ ٣٤٩)

(٣)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،(تفسير ابن عطية)عبدالحق بن غالب بن تمام بن عطية ، تحقيق عبدالسلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ،١٤٢٢هـ(١/ ٤٣٧).

قالوا: نصطاد السمك، قال: أفلا تمشون حتى نصطاد الناس، قالوا: ومن أنت؟ قال: عيسى ابن مريم عبد اللهّ ورسوله، مَنْ أَنْصارِي إِلَى اللهَّ، فآمنوا وانطلقوا معه (١)

القول الثاني : أن اليهود أرادوا قتله لأنهم كانوا يعلمون أنه المسيح المبشر به وانه ناسخ لدينهم فعزموا على قتله ،فاستنصر الحواريين فنصروه

القول الثالث : إن عيسى عليه السلام ظن من قومه الذين دعاهم إلى الإيمان أنهم لا يؤمنون به وأن دعوته لا تنجح فيهم فأحب أن يمتحنهم ليتحقق ما ظنه بهم فقال لهم { مَنْ أنصاري إِلَى الله } فما أجابه إلا الحواريون ، فعند ذلك أحس بأن من سوى الحواريين كافرون مصرون على إنكار دينه وطلب قتله (٢)

(قال من أنصاري إلى الله)اختلف العلماء في المقول لهم(من أنصاري إلى الله) فقيل : لخلص أصحابه لا لجميع بني إسرائيل لقوله تعالى (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين)(سورة الصف الآية : ٧) (٣) وقيل : المقول لهم عموم مبنى اسرائيل إبلاغا للدعوة وقطعا للمعذرة (٤)

---

(١) تفسير الرازي(٤/ ٢٢٢٤)، وقد ذكر هذه القصة بصيغ مختلفة :الطبري(٣/ ٢٨٦)والبغوي (١/ ٤٤٤)والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)محمد بن احمد القرطبي ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ،دار الكتب المصرية و١٩٦٤م (٤/ ٩٧)والخازن في لباب التأويل في معانى التنزيل ،(تفسير الخازن) تحقيق : محمد شاهين ،دار الكتب العلمية ـ بيروت، ١٤١٥هـ ،(ا/ ٢٣٩).

(٢) ينظر تفسير الطبري (٦/ ٤٤٥) اللباب في علوم الكتاب (تفسير ابن عادل) أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ،تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود و علي محمد معوض دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان ،١٩٩٨م(٤/ ١٠٣).

(٣) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ،(تفسير أبى السعود)، محمد بن محمد العمادي أبو السعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت (١/ ٣٩٥ـ ٣٩٦)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ،(تفسير الألوسي)، محمود الألوسي أبو الفضل، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (٣/ ٥٧ ـ ٥٨) .

(٤) تفسير ابن عطية (١/ ٤٤٩)، التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي ،الدار التونسية للنشر ـ تونس ،١٩٨٤(٣/ ٣٥٥)

(أنصاري إلى الله) جمع نصير كشريف وأشراف [١]

في (إلى) هنا ثلاثة أقوال :

الأول : أن تكون على بابها دالة على الغاية دلالة ظاهرة ، فيكون المعنى من ينصرني في السبيل إلى الله تعالى ؟ [٢]

الثاني : أن تكون بمعنى الإضافة ، ويكون المعنى من يضيف نصره إلى نصرة الله تعالى ، كقوله تعالى (ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم) ٣/ النساء [٣]

الثالث : (إلى) بمعنى اللام أي : مَنْ أنصاري لله ، كقوله : (يهدي إِلَى الحق) (يونس : ٣٥) أي : للحقِّ [٤]وفى قوله { مَنْ أنصاري إِلَى الله } حض لهم على المسارعة إلى نصرة الحق لأنهم لا ينصرونه من أجل متعة زائلة . وإنما هم ينصرونه لأنه يدافع عن دين الله ويبشر به ، ومن نصر دين الله ، نصره الله تعالى[٥].

(قال الحواريون نحن أنصار الله) فالحواريين لقوة إيمانهم وصفاء نفوسهم قد لبوا دعوة عيسى – عليه السلام – في طلب النصرة دون أن يخشوا أحدا إلا الله .

وقولهم – كما حكى القرآن عنهم { نَحْنُ أَنْصَارُ الله } إشعار بأنهم ما وقفوا بجانب عيسى إلا نصرة لدين الله ودفاعا عن الحق الذى أنزله على رسوله عيسى [٦]

---

(١) لسان العرب (٥/ ٢١٠)

(٢) تفسير الرازي (٤/ ٢٢٥)

(٣) الكليات (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفومي ، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،١٩٩٨م، ص ٤٠٦ ، تفسير أبى السعود (١/ ٣٩٦)

(٤) الدر المصون في علم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي ، دار القلم ـ دمشق ،(٢/ ٣٥٠)

(٥) الوسيط لسيد طنطاوي ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ـ القاهرة ، (٢/ ٣٤٣)

(٦) ينظر تفسير الوسيط (٢/ ٤٥٥)

أما قوله { آمنا بالله } فهذا يجري مجرى ذكر العلة ، والمعنى يجب علينا أن نكون من أنصار الله ، لأجل أنا آمنا بالله ، فإن الإيمان بالله يوجب نصرة دين الله ، والذب عن أوليائه ، والمحاربة مع أعدائه [١]

(واشهد)الخطاب هنا إما أن يكون لعيسى عليه السلام ، أي اشهد لنا عند الله تعالى ،فكأنهم يشيرون إلى أن هدفهم رضا الله سبحانه وتعالى .

وإما أن يكون خطابا لله تعالى ، كما يقال : أشهد الله على كذا عند العزم والمبالغة في الالتزام [٢]

(بأنا مسلمون) لما قال الحواريون (نحن انصار الله) ذكروا هنا دليلا على قولهم هذا ـ حتى لا يكون كلامهم مجرد دعوة ـ وهو انقيادهم التام لأمر الله تعالى ،ويدخل فيه دخولا أوليا نصرتهم له [٣] .

او المعنى بأن ديننا الإسلام ، يقول الطبري (ت٣١٠هـ) وهذا خبرٌ من الله عز وجل أن الإسلامَ دينُه الذي ابتعثَ به عيسى والأنبياءَ قبله، لا النصرانية ولا اليهوديةَ وتبرئةٌ من الله لعيسى ممن انتحل النصرانية ودان بها،[٤]

(ربنا) اظهار الضراعة إلى الله عز وجل والالتجاء إليه سبحانه (أمنا بما أنزلت) أى :صدقنا بما أنزلت على نبيك عيسى من كتابك (واتبعنا الرسول) أى: صرنا أتباع عيسى على دينك الذى ابتعثته به وأعوانه على الحق الذى أرسلته به إلى عبادك [٥]

---

(١) ينظر: تفسير الرازي (٤/ ٣٢٢)

(٢) ينظر تفسير ابن عطية (٢/ ٤٣٨) وتفسير الألوسي (٣/ ٥٩)

(٣) ينظر البحر المحيط (٣/ ٣٥٠)

(٤) ينظر : تفسير الطبري (٦/ ٤٥٢)

(٥) ينظر : تفسير الطبري (٦/ ٤٥٢)

وذكر الحواريون الاتباع بعد الايمان لإفادة أن إيمانهم كان في مرتبة اليقين ، المؤثر في النفس ،الداعي لها إلى العمل ،فالعلم الصحيح يستلزم العمل ، والعلم الذى لاأثر له في العمل ناقص وغير يقيني [١] :{ فاكتبنا مع الشاهدين) هذا دعاء من الحواريين دعوا به الله سبحانه أن يكتبهم مع الشاهدين ' فمن هم الشاهدون ؟

اختلف العلماء في المراد بهم ، فقيل هم الذين أقروا بوحدانية الله تعالى . يقول الطبري : فأثبت أسماءنا مع أسماء الذين شهدوا بالحق، وأقرُّوا لك بالتوحيد، وصدّقوا رسلك، واتبعوا أمرك ونهيك، فاجعلنا في عدادهم ومعهم فيما تكرمهم به من كرامتك، وأحِلَّنا محلهم، ولا تجعلنا ممن كفر بك، وصدَّ عن سبيلك، وخالف أمرك ونهيك [٢]

وقيل :مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهذ اما رواه ابن كثير عن ابن عباس ،ورجحه وقال : وهذا اسناد جيد [٣] وقيل : الشاهدين هم الأنبياء ، أي: اجعلنا مع الأنبياء [٤]

وقيل: الشاهدين هم الصادقون ، وقيل :هم الذين يشهدون للأنبياء بالتصديق [٥]

---

(١) تفسير المنار ، محمد رشيد بن علي رضا،١٩٩٠م الهيئة المصرية العامة للكتاب ، (٣/ ٣٥٩)

(٢) تفسير الطبري (٦/ ٤٥٢)

(٣) تفسير القرآن العظيم(تفسير ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ، دار طيبة للنشر والتوزيع ،١٩٩٩م ،(٣/ ٤٦) ولم يذكر ابن عطية غير هذا الرأي مما يدل على أنه هو المرجح لديه . ينظر تفسير ابن عطية (١/ ٤٣٨)

(٤) ذهب إلى هذا الزمخشري وأبو حيان و الرازي ، ينظر : تفسير الزمخشري (١/ ١٩١) والبحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي ، دار الكتب العلمية – لبنان / بيروت ،٢٠٠١م (٢/ ٤٧٢) والرازي (٨/ ٧١)

(٥) زاد المسير في علم التفسير ، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ،المكتب الإسلامي – بيروت ١٤٠٤هـ ، (١/ ٣٤٥)

فقد دلت هاتان الآيتان على قوة إيمان الحواريين ، وصفاء نفوسهم ،وإخلاصهم لله تعالى ،حين أجابوا دون تردد (نحن أنصار الله) ، وعلى اعترافهم الكامل بربوبية وبألوهية الله تعالى ، وبلوغهم المرتبة العليا من صدق اليقين وطهارة القلب ، حين قالوا (ربنا آمنا بما أنزلت)، وعلى صدق اخلاصهم في الإيمان بنبوة عيسى عليه السلام حين قالوا (واتبعنا الرسول) ،ورغبتهم القوية أن يجعلهم الله تعالى في عباده الصالحين حين دعوه سبحانه بقولهم (فاكتبنا مع الشاهدين).

الموضع الثاني والثالث :(وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)(١١١ـ١١٣) المائدة .

جاءت هذه الآيات في سورة المائدة ،التي تحدثت عن مائدة طلب الحواريون من عيسى ـ عليه السلام أن يسألها ربه ، فهي السورة الوحيدة التي تحدثت عن هذه المائدة ، ولذلك سميت بسورة المائدة

وذكرت هذا الموضع الرابع :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِين)(١٤/ الصف)

جاءت هذه الآية في سورة الصف ، وقد ذكر السيوطي في الاتقان أن لها اسما آخر وهو سورة الحواريين [1] وأما وجه تسميتها ب (سورة الحواريين) فلتكرار هذا اللفظ مرتين في الآية الأخيرة من هذه السورة .

وسورة الصف نزلت دفعة واحدة كما ينبئ عن ذلك سبب النزول ، فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ قَالَ : قَعَدْنَا نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَتَذَاكَرْنَا فَقُلْنَا : لَوْ نَعْلَمُ أي الأَعْمَالِ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لَعَمِلْنَاهُ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ) حَتَّى خَتَمَهَا. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَقَرَأَهَا عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى خَتَمَهَا[2]

ومقصود السورة الأعظم هو الحث على الجهاد ،وبيان مكانته ،ومنزلة المجاهدين [3] وكان من منهج السورة في حث المؤمنين على الجهاد ،وتشويقهم إليه بأنه تجارة رابحة تذكيرهم بمن استجابوا لداعى الله ، وهم الحواريون خلص أصحاب عيسى عليه السلام ، حين قال لهم (من أنصاري إلى الله) ؟فساعوا بالاستجابة واعلنوها قائلين (نحن أنصار الله) .

ويدل على أن محور السورة هو الجهاد في سبيل الله تعالى ،ما روى : أن ناساً من المسلمين كانوا يقولون قبل أن يفرض الجهاد : لوددنا أن الله تعالى دلنا على أحب الأعمال إليه ، فلما نزل الجهاد

---

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن ، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٧٤م،(١/ ١٥٤) ،والألوسي (٢٠/ ٤٧٧)، والتحرير والتنوير(٢٨/ ١٧٢)

(٢) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب الجهاد ،وفى كتاب التفسير ، وقال هذا الحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، (٢/ ٥٣٩) والترمذي في جامعه كتاب تفسير القرآن ،باب ومن سورة الصف ، والدارمي في سننه كتاب الجهاد ،باب الجهاد في سبيل الله أفضل الأعمال .

(٣) : نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٧/ ٧٥٠

، كرهه ناس من المؤمنين ، فأنزل الله تعالى (سَبَّحَ للهَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(الصف/ ١)إلى آخر السورة [١]

واسم السورة ومطلعها مرتبطان ارتباطا وثيقا بالمحور الذى تدور أحداثه حول القتال في سبيل الله ،أما اسمها وهو الصف ، فَيُطْلَقُ عَلَى صَفِّ الْمُصَلِّينَ، وَصَفِّ الْمَلَائِكَةِ، وَصَفِّ الْجَيْشِ فِي مَيْدَانِ الْقِتَالِ بِالْجَيْشِ إِذَا حَضَرَ الْقِتَالُ كَانَ صَفًّا مِنْ رَجَّالَةٍ أَوْ فُرْسَانٍ ثُمَّ يَقَعُ تَقَدُّمُ بَعْضِهِمْ إِلَى بَعْضٍ فُرَادَى أَوْ زَرَافَاتٍ. فَالصَّفُّ هُنَا: كِنَايَةٌ عَنْ الِانْتِظَامِ وَالْمُقَاتَلَةِ عَنْ تَدَبُّرٍ[٢] وأما مطلعها فلبَيَانُ أَنَّ الْكَافِرِينَ مَحْقُوقُونَ بِأَنْ تُقَاتِلُوهُمْ لِأَنَّهُمْ شَذُّوا عَنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ فَلَمْ يُسَبِّحُوا اللهَّ وَلَمْ يَصِفُوهُ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ إِذْ جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ فِي الْإِلَهِيَّةِ.[٣]

(ياأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهَّ....) نداء من الله ـ سبحانه وتعالى ـ لحث المؤمنين على الطاعة المطلقة لرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كاستجابة الحواريين لعيسى عليه السلام ، حين ثبتوا على إيمانهم وأخلصوا لنبيهم دون أن تؤثر فيهم الأحداث والمصائب [٤]

وَالتَّشْبِيهُ بِدَعْوَةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ وَجَوَابُ الْحَوَارِيِّينَ تَشْبِيهُ تَمْثِيلٍ، أَي كونُوا عِنْد مَا يدعوكم مُحَمَّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَصْرِ اللَّهِ كَحَالَةِ قَوْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ وَاسْتِجَابَتِهِمْ لَهُ [٥] {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهَّ} أمر إدامة النصرة والثبات عليه [٦]

---

(١) ينظر: زاد المسير (٦/ ٣٥)

(٢) ينظر؛ تفسير التحرير والتنوير (٢٨/ ١٧٦)

(٣)ينظر: تفسير التحرير والتنوير(٢٨/ ١٧٤)

(٤) ينظر تفسير ابن كثير (٨/ ١١٣).

(٥) ينظر :تفسير التحرير والتنوير (٢٨/ ٩٩)

(٦) ينظر تفسير البسيط ، أبو الحسن على بن أحمد الواحدي ، عمادة البحث العلمي ،جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٣٠هـ (٢١/ ٤٣٩)

ويؤيد هذا المعنى قراءة (يا أيها الذين آمنوا أنتم أنصار الله) (١) أو المعنى : أمر من الله تعالى لِعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَكُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ ولعل هذا ـ والله أعلم ـ هو الأوفق لسياق الآية. والخطاب من الله تعالى للمؤمنين ، وقيل : الخطاب من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمؤمنين ، أي : قل لهم يا محمد كونوا أنصار الله (٢)

{كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ} أي: انصروا دين الله مثل نصرة الحواريين لما قال لهم عيسى {مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ} قال عطاء: يريد من ينصرني وينصر دين الله (٣)

(قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ) كان النظم في غير القرآن أن يقال قالوا نحن أنصار الله ، لكنه عدل عن ضميرهم إلى الظاهر للاعتناء بشأن *الحواريين* (٤)

ووجه تشبيه الكون (كونوا أنصار الله) بالقول (كما قال عيسى بن مريم) أنه مَحْمُولٌ عَلَى مَعْنَاهُ دُونَ لَفْظِهِ، وَالْمَعْنَى: كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا كَانَ الْحَوَارِيُّونَ أَنْصَارَ عِيسَى حِينَ قَالَ لَهُمْ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ (٥)

وقول عيسى عليه السلام (من أنصاري إلى الله) هنا غير قوله في آل عمران ، لأن مقالته في آل عمران كان مخاطبا بها بنى إسرائيل الذين تيقن منهم الكفر ، وأما مقالته هنا فهى موجهة للحواريين الذين آمنوا به وثبتوا على دينهم .

---

(١) ينظر : الحجة في القراءات السبع ، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله ، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق ـ بيروت ١٤٠١هـ ص٢٩٠

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١١٣) ، تفسير القرطبي (١٨/ ٨٩)

(٣) ينظر: تفسير البسيط (٢١/ ٤٤٠)

(٤) ينظر تفسير الألوسي (١٤/ ٣٨٢)

(٥) ينظر: : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر ، بيروت(٥/ ٣١٢).

وأما قول الحواريين هنا (نحن أنصار الله) غير قولهم في آل عمران ،فالإضافة في قوله (نحن أنصار الله)في آل عمران إِضَافَةً لَفْظِيَّةً وَبِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ قَوْلُهُمْ: نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ مُفِيدًا لِلْقَصْرِ لِانْعِدَامِ تَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ. فَأَمَّا هُنَا فَالْأَظْهَرُ أَنَّ كَلِمَةَ أَنْصارَ اللَّهِ اعْتُبِرَتْ لَقَبًا لِلْحَوَارِيِّينَ عَرَّفُوا أَنْفُسَهُمْ بِهِ وَخَلَعُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَلِذَلِكَ أَرَادُوا الِاسْتِدْلَالَ بِهِ عَلَى أَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ بِتَحْقِيقِ مَعْنَاهُ، وَلِذَلِكَ تَكُونُ إِضَافَةُ أَنْصارَ

إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ هُنَا إِضَافَةً مَعْنَوِيَّةً مُفِيدَةً تَعْرِيفًا فَصَارَتْ جُمْلَةً نَحْنُ أَنْصارُ اللَّهِ هُنَا مُشْتَمِلَةً عَلَى صِيغَةِ قَصْرٍ عَلَى خِلَافِ نَظِيرَتِهَا الَّتِي فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ.

فَفِي حِكَايَةِ جَوَابِ الْحَوَارِيِّينَ هُنَا خُصُوصِيَّةُ صِيغَةِ الْقَصْرِ بِتَعْرِيفِ الْمُسْنَدِ إِلَيْهِ وَالْمُسْنَدِ. وَخُصُوصِيَّةُ التَّعْرِيفِ بِالْإِضَافَةِ. فَكَانَ إِيجَازًا فِي حِكَايَةِ جَوَابِهِمْ بِأَنَّهُمْ أَجَابُوا بِالِانْتِدَابِ إِلَى نَصْرِ الرَّسُولِ وَبِجَعْلِ أَنْفُسِهِمْ مَحْقُوقِينَ بِهَذَا النَّصْرِ لِأَنَّهُمْ مَحَّضُوا أَنْفُسَهُمْ لِنَصْرِ الدِّينِ وَعُرِفُوا بِذَلِكَ وَبِحَصْرِ نَصْرِ الدِّينِ فِيهِمْ حَصْرًا يُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ فِي تَمَحُّضِهِمْ لَهُ حَتَّى كَأَنَّهُ لَا نَاصِرَ لِلدِّينِ غَيْرُهُمْ مَعَ قِلَّتِهِمْ وَإِفَادَتَهُ التَّعْرِيضَ بِكُفْرِ بَقِيَّةِ قَوْمِهِمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ[(١)]

لَهُم كونُوا كما قالَ عيسى للحواريينَ والحواريونَ أصفياؤُه وهم أولُ من آمنَ به وكانوا اثنيْ عشَرَ رجلاً {فآمنت طائفة من بني إسرائيل} أى بعيسى وطاعوه فيما أمرهم من نصرة الدين {وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ} أُخرى به وقاتلوهم {فأيدنا الذين آمنوا على عَدُوِّهِمْ} أي قوّيناهُم بالحجة أو بالسيفِ وذلكَ بعد رفع عيسى عليه السلامُ {فَأَصْبَحُواْ ظاهرين[(٢)]

---

(١)ينظر : التحرير والتنوير (٢٨/ ٢٠٢)

(٢) ينظر: تفسير أبى السعود (٨/ ٣٤٦)

المبحث الأول : الحواريون والمائدة .

وتحته مطالب :

المطلب الأول : مفهوم المائدة .

المطلب الثاني : سبب طلب الحواريين للمائدة ، ولماذا أرادوها من السماء.

المطلب الثالث : موقف المفسرين من نزولها وعدمه .

المطلب الرابع : ما حوته المائدة

المطلب الخامس : العبرة من قصة المائدة .

المطلب الأول: مفهوم المائدة

جاء فى كتاب "المخصص" المائدة: التى يؤكل عليها، وقال أبو حاتم: [١]
المائدة: الطعام نفسه. وقال أبو على: لا تسمى المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام، وإلا فهي خوان".

فالمائدة إذن تطلق على الشيء الذى يؤكل عليه، ولا يسمى مائدة إلا فى حالة وضع الطعام عليها فهى اسم مركب يدل على الطعام وما يوضع عليه، وإذا كانت خالية من الطعام فلا تسمى مائدة، وقد تطلق المائدة على الطعام ذاته، بصرف النظر عن مكان وضعه.

وقال بعض اللغويين: المائدة من العطاء، لأنه مِيدَ بها صاحبها، أى أُعِطيها ويفضل عليه بها.

فالعرب تقول: ما دنى فلان: إذا أحسن إلى[٢]

ومنه قول رؤبة: تهدي رءوس المترفين الأَنْداد ••• إلى أمير المؤمنين المُتَاد [٣]

الممتاد: المستعطى والمتفضل على الناس[٤]

والظاهر – والله أعلم – أن الحواريين طلبوا، أن يتفضل الله تعالى عليهم بطعام فقط، أو بطعام موضوعٍ على خِوانَ أى: (سفرة أو طبق).

---

(١) المخصص لأبى الحسن على بن إسماعيل اللغوي المعروف باين سيده (١/ ٤٣٨)

(٢) تهذيب اللغة مادة: دام ٤/ ٤٩٢

(٣) رؤبة بن الحجاج من شاعري الإسلام مدح الدولة الأموية والدولة العباسية، والبيت فى ديوانه بلفظ

تُهدى رؤوس المِترفين الصُدَّادْ

من كل قوم قبل خرْج النُقاد

إلى أمير المؤمنين الممتاد

ينظر ديوان رؤبة ص٤٠، دار بن قتيبة للطباعة والنشر – الكويت

(٤) ينظر: لسان العرب، ٣/ ٤١١ مادة ميد.

وذكر الراغب الأصفهاني(ت٥٠٢ه) أنهم استدعوا علمًا، وسمى مائدة من حيث أن العلم غذاء القلوب كما أن الطعام غذاء الأبدان[1] ولم أعلم أحدًا ذكر هذا الرأي سوى الراغب (ت٥٠٢هـ)

المطلب الثاني : سبب طلب الحواريين للمائدة ، ولماذا أرادوها من السماء؟

روى ابن جرير (ت ٣١٠هـ) في تفسيره: أن عيسى عليه السلام قال لهم مرة: هل لكم في صيام ثلاثين يوماً لله تعالى؟ ثم إن سألتموه حاجة قضاها، فلما صاموها قالا: يا معلم الخير إن حق من عمل عملاً أن يطعم... فأرادوا أن تكون المائدة عند ذلك اليوم[2].

وذكر القرطبي (ت ٦٦١): أن عيسى عليه السلام كان إذا خرج تبعه آلاف من الناس منهم أصحابه ومنهم أصحاب المصالح الخاصة، فخرجوا يوماً فوقعوا في مفازة، ولم يكن معهم نفقة، فجاعوا وقالوا للحواريين قولوا لعيسى: حتى يدعو بأن تنزل علينا مائدة من السماء، فجاءه شمعون رأس الحواريين، وأخبره بالأمر، فقال عيسى عليه السلام قل لهم : " اتقوا الله إن كنتم مؤمنين"[3].

وقد بين الله- سبحانه وتعالى- عذر الحواريين والأسباب المباشرة في طلبهم المائدة فقال- سبحانه- على لسانهم " نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ" (١١٣/ المائدة).

فهم قد أظهروا لعيسى عليه السلام أنهم يريدون نزول هذه المائدة عليهم لفوائد أربع

---

(١) المفردات فى غريب القرآن ص٧٨٣.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) ١١/ ٣٢٢، وينظر: تفسير القرآن العظيم" تفسير أبي حاتم) ٤/ ١٣٤٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن " تفسير القرطبي " ٦ / ٣٦٦.

الفائدة الأولى:" نريد أن نأكل منها" ففي قولهم: " نأكل منها" وجهان أحدهما: نأكل منها لأننا في حاجة إلى الطعام، وقد غلب علينا الجوع، ولا نجد طعاماً آخر، وهذا مروي عن ابن عباس[1].

ثانيهما: نأكل منها للشرف والتبرك وليس لدفع الجوع، وهذا الرأي ذكره الماوردي (ت ٤٥٠) واستحسنه ورجحه، حيث قال: وهذا أشبه- أي أحسن- لأنهم لو احتاجوا لم ينهو عن السؤال[2].

الفائدة الثانية: " وتطمئن قلوبنا"

أي: نزداد يقينا، وهذا مروي عن عطاء بن رباح، وذلك لأن الدلائل كلما كثرت مكثت المعرفة في النفس[3].

فهم يريدون ضم على المشاهدة وا[4]للمس والذوق والشم إلى علم السمع من عيسى عليه السلام وعلم النظر والاستدلال.

وقيل المعنى: تسكن قلوبنا وتستقين قدرة الله تعالى ؛ لأننا وإن علمنا قدرة الله- تعالى- بالدليل فإذا شاهدنا نزول المائدة قويت الطمأنينة وسكن الفكر بمعاينة هذا المعجز العظيم النازل من السماء[5].

وقيل: تطمئن قلوبنا إلى أن الله- تعالى- قد اختارنا للدعوة إليه.

---

(١) ينظر: زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (ت ٥٩٧) ٣/ ٢٨٩. ومفاتيح الغيب للرازي (ت ٦٠٦هـ) (٦/ ١٦٧).

(٢) ينظر: النكت والعيون ٢/ ٣٩٠، وإرشاد العقل السليم إلى مزايا (٢/ ٣١٦) الكتاب الكريم (٣/ ٣١٦)، وروح المعاني" تفسير الألوسي" (٥/ ١٨٨).

(٣) ينظر تفسير البسيط للواجدي (ت ٤٦٨هـ) ٧/ ٥٩٤.

(٤) تفسير المنار (٧/ ٢١١).

(٥) تفسير الخازن ٣/ ٩٧، وتفسير أبي السعود (٢/ ٣١٥) والبحر المحيط (٥/ ٥٨).

وقيل: تطمئن قلوبنا إلى أن الله- تعالى- قد أجابنا إلى ما سألناه(١).

وقيل: تطمئن قلوبنا إلى أن الله- تعالى- قد قبل صومنا(٢).

الفائدة الثالثة: ونعلم أن قد صدقتنا"

أي: نعلم علماً يقينياً لا يحوم حوله شبهة، وضروري لا يحتمل الشك أو المعنى: نزداد علماً ويقيناً إلى علمنا ويقيننا(٣) بأنك رسول الله (٤) وصدقتاني ادعاء النبوة، أو بأن الله تعالى يجيب دعوتنا أو بأنك صادق في كل ما تدعيه مطلقاً(٥).

والقراءة المشهورة " ونعلم"، وقرأ ابن جبير " وتعلم" بضم التاء على أنه مبني للمفعول، والضمير عائد على القلوب، أي: وتعلم قلوبنا.

وقرئ " وتعلم" بالياء مبنياً للمفعول، أي: ويعلم صدقك لنا(٦).

فحاصل المعنى أنهم يريدون من نزول المائدة أن يزداد يقينهم في صدق عيسى عليه السلام، وليس العلم اليقيني العقلي فقط، بل لابد أن ينضم إليه اطمئنان القلب، فيجمع بين أطراف اليقين، ومن ثم فلا تعترضهم شبهة مهما كانت قوتها.

الفائدة الرابعة " ونكون عليها من الشاهدين" أي: ممن يشهد ان الله تعالى أنزلها حجة لنفسه علينا في توحيده، وقدرته على ما يشاء، ولك حجة على صدق نبوتك(٧) ونشهد علينا عند

---

(١) النكت والعون ٢/ ٣٩١.

(٢) جامع البيان (تفسير القرطبي (٦/ ٣٧٢).

(٣) تفسير أبي السعود (٢/ ٣١٦)، البحر المحيط (٥/ ٩٥).

(٤) لباب التأويل في معاني التنزيل" تفسير الخازن" ٢/ ٢٥٨.

(٥) روح المعاني " تفسير الألوسي" (٥/ ٤٣٣).

(٦) تفسير اللباب في علوم الكتاب لابن عادل (ت ٧٧٥) ٦/ ٣١١.

(٧) تفسير الطبري (١١/ ٣٢٥).

الذين لم يحضروها من بني إسرائيل، ليزداد المؤمنون منهم بشهادتنا طمأنينة ويقينا، ويؤمن بسببها كفارهم(١).

ونكون من الشاهدين بالعين أي: من الذين رأوا المعجزة بالبصر والمعاينة، وليس مجرد سامعين للخبر فقط(٢).

وبهذا يتبين أنه لم يدعوهم إلى طلبها شك في قدرة الله- تعالى- أو في نبوة عيسى عليه السلام، وإنما يبغون من ورائها، الأكل، وزيادة الإيمان واليقين والشهادة أمام الذين لم يشاهدوا نزولها بكمال قدرة الله- سبحانه وتعالى- صدق نبوة عيسى عليه السلام.

وجاءت هذه المطلوبات (الأكل- اطمئنان القلب- علم الصدق- الكون من الشاهد) وعلى ترتيب بديع، أشار إليه الإمام أبو حيان بقوله: وأتت هذه المعاطف مرتبة ترتيباً لطيفا، وذلك لأنهم لا يأكلون منها إلا بعد معاينة نزولها، فيجتمع على العلم بها حاسة الرؤية وحاسة الذوق، فبذلك يزول عن القلب قلق الاضطراب ويسكن، وباطمئنان القلب يحصل العلم الضروري بصدق من كانت المعجزة على يديه(٣).

لماذا أرادوها من السماء؟ طلب الحواريون أن تكون المائدة نازلة من السماء، لتكون أدخل في الإعجاز وادعي إلى اليقين، فهم لو لم يقولوا " من السماء" ، واكتفوا بقولهم " أنزل علينا مائدة"، لكان من الممكن إعطاءهم مائدة من الأرض بطريقة عادية، على اعتبار أن كل من

---

(١) تفسير أبي السعود (٢/ ٣١٦).

(٢) تفسير الألوسي (٥/ ١٨٨).

(٣) البحر المحيط (٥/ ٩٥).

يعطي من الله تعالى يسمى انزالاً لتحقيق معنى العلو المطلق لله تعالى، فإنه سبحانه[1] هو العلي القاهر فوق جميع عباده[2].

فهم رغبوا أن تكون خارقة للعادة فلا تكون مما صنع في العالم الأرض ولأن تكوينها في العالم العلوي بدعاء من هو في العالم الأرضي، أقوى وأغرب من تأثير ن هو في العالم الأرضي في عالمه الأرض[3].

هذا على اعتبار أن المراد بالسماء في قوله تعالى: " أن ينزل علينا مائدة من السماء" المحل المعهود- أي السماء المعروفة- وهو المتبادر من اللفظ[4].

ويؤكد هذا ما أخرجه ابن أبي حاتم عن عمار بن ياسر أن المائدة التي نزلت كان عليها من ثمار الجنة"[5].

وقيل إن المراد : جهة العلو[6] على اعتبار أن كل ما علاك فأظلك فهو سماء[7].

ويؤيد هذا ما روي عن سلمان الفارسي – رضي الله عنه- أن المائدة لما نزلت قال شمعون رأي الحواريون: يا روح الله وكلمته أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الجنة؟ فقال عليه السلام، ليس

---

(١) تفسير المنار (٧/ ١١)

(٢) يقول سبحانه" وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس" يقول ابن عاشور: وإنزال الحديد مستعار لخلق معدنه، كقوله تعالى: " وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج" (٦/ الزمر) أي خلق لأجلكم الحديد، وذلك بإلهام البشر استعماله في السلاح من سيوف ودروع.. فيكون إنزاله مستعاراً لمجرد إلهام صنعه... التحرير والتنوير ٢٧/ ٤١٧.

(٣) ينظر: تفسير أبي حيان: البحر المحيط" (٥/ ٥٩).

(٤) تفسير الألوسي (٥/ ١٨٩)

(٥) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١).

(٦) تفسير الألوسي (٥/ ١٨٩).

(٧) يقول الخليل في كتاب " العين " ٢/ ٧٧ مادة " سمو" : السماء: سقف كل شيء وكل بيت.

شيء مما ترون عليها من طعام الجنة،ولا من طعام الدنيا، إنما هو شيء ابتدعه الله تعالى في الهواء؛ بالقدرة الغالبة القاهرة، فقال له كن: فكان في أسرع من طرقة عين(١).

وعلى هذا المعنى أيضا، فإن نزول المائدة من جهة العلو أمر خارق للعادة ،فإن صنع الطعام في الهواء ليس مما ألفه البشر.

---

(١) حديث طويل رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٣) وذكره ابن كثير في تفسيره ٣/ ٢٣٩، والسيوطي في الدرر المنثور ٤/ ٢١.

المطلب الثالث : موقف المفسرين من نزول المائدة وعدمه

اختلف أهل التفسير في " المائدة" هل نزلت عليهم، أم لا؟

فروي ابن جرير في تفسيره بسند عن مجاهد: ما نزلت المائدة، وإنما هو ضرب مثل ضربه الله تعالى لخلقه، فنهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه(١).

وروى بسنده أيضاً عن الحسن: لما قيل لهم: " فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين" قالوا: لا حاجة لنا فيها فلم تنزل(٢).

يقول الرازي (ت ٦٠٦): الذين نفعوا نزولها احتجوا بوجهين:

الأول: أن القوم لما سمعوا قوله تعالى" أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" استغفروا، وقالوا: لا نريدها(٣).

الثاني: أنه وصف المائدة بكونها عيداً لأولهم وآخرهم، فلو نزلت لبقى ذلك العيد إلى يوم القيامة(٤).

وذهب أكثر المفسرين إلى أن المائدة قد نزلت بالفعل. فقد روي ابن جرير (ت ٣١٠) عن جماعة من السلف من نزولها، كابن عباس، وعمار بن ياسر، وسعيد بن جبير، وعكرمة،(٥) ورجح هذا القول ومال إليه بقوله: والصواب من القول عندنا في ذلك أن يقال: أن الله تعالى ذكره أنزل المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربه، وإنما قلنا ذلك للخبر الذي روينا بذلك عن

---

(١) تفسير ابن جرير (١١/ ٢٣٢) وينظر: النكت والعيون (١/ ٣٩١).

(٢) تفسير ابن جرير (١١/ ٢٣٣) وينظر: النكت والعيون (١/ ٣٩١).

(٣) على أساس أن جملة الوعيد" أعذبه عذاباً" مرتبة ومعطوفة على جملة الوعد " إني منزلها عليكم.

(٤) تفسير الفخر الرازي (٦/ ١٩٩).

(٥) تفسير ابن جرير (١١/ ٢٢٣).

رسول الله – صلى الله عليه وسلم- وأصحابه وأهل التأويل من بعدهم، فإن الله تعالى ذكره لا يخلف وعده، ولا يقع في خبره الخلف، وقد قال تعالى ذكره في كتابه عن إجابة نبيه عيسى عليه السلام، حين سأله ما سأله من ذلك" إني منزلها عليكم"، وغير جائز أن يقول الله تعالى ذكره " إني منزلها عليكم" ثم لا ينزلها، لأن ذلك منه تعالى ذكره خبر، ولا يكون منه خلاف ما يخبر، ولو جاز أن يقول " إني منزلها عليكم" ثم لا ينزها، جاز أن يقول" فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين" ، ثم يكفر منهم بعد ذلك فلا يعذبه، فلا يكون لوعده ولا لوعيده حقيقة ولا صحة وغير جائز أن يوصف ربنا تعالى ذكره بذلك[1].

وقد تابع ابن كثير (ت ٧٧٤) ابن جرير في ترجيحه النزول واعتبر أن رأي القائلين بالنزول هو القول الصواب[2] والواحدي (ت ٤٦٤هـ) وصف هذا الرأي بأنه الصحيح المختار[3]

والبغوي (ت ٥١٠هـ) ذكر أن هذا الرأي الصحيح[4]وكذلك ابن عطية (ت ٥٤٢هـ) قال بأنه رأي جمهور المفسرين [5]والرازي (ت ٦٦٠هـ) أيده لأنه رأى الجمهور الأعظم من المفسرين[6]والقرطبي (ت ٦٧١) رجح النزول لأنه الذي عليه الجمهور وهو الحق وقال عن قول الحسن ومجاهد إنه خطأ، والصواب أنها نزلت[7].

والألوسي (ت ١٢٧٣هـ) مال إلى النزول لأنه رأى الجمهور وعليه المعول[8].

---

(٢) تفسير ابن جرير (١١/ ٢٤٤)

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣١)

(٣) تفسير الواحدي (٣/ ٥٩٨).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ١١٩).

(٥) المحرر الوجيز (٢ / ٣٧٣).

(٦) مفاتيح الغيب (١٢/ ٤٦٤).

(٧) تفسير القرطبي (٦/ ٣٦٩.

(٨) تفسير الألوسي (٥/ ١٩١).

وابن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) اعتبر رأي القائلين بالنزول هو القول الظاهر[١] وقد ردوا على حجة الذين نفوا نزولها.

أما قولهم: بأنهم استعفوا نزولها لما رأوا الشرط " فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين".

هذا الشرط " فمن يكفر بعد منكم" والجزاء " فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين" لا تعلق له بالوعد في قوله " إني منزلها عليكم"

لأن هذا الوعد ليس مشروطاً بشرط، ولكنه معقب بتحذير من الكفر بعد الإيمان إعلاماً بأهمية الإيمان.

عند الله تعالى، فجعل جزاء إجابته إياهم أن لا يعودوا إلى الكفر فإن عادوا عذبوا عذاباً أشد من عذاب سائر الكفار؛ لأنهم تعاضد لهم دليل العقل والحس، فلم يبق لهم عذر[٢]

وأما قولهم: لو نزلت لبقى ذلك العيد إلى يوم القيامة:

فالمقصود أن يوم نزولها يكون عيداً لهم ولمن بعدهم ممن كان على شرعهم من التوحيد، وليس لكل النصارى إلى يوم القيامة[٣]

يقول ابن الانباري قوله تعالى " إني منزلها" قام وليس جواب لشرط وجواب الشرط قوله" فإني أعذبه عذابا"[٤]. وذكر الدكتور عبدالوهاب النجار في كتابه (قصص الأنبياء): أن المراد بإنزالها

(١) التحرير والتنوير (٧/ ١١١).

(٢) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ٦/ ١٩٩، والتحرير والتنوير (٧/ ١١١)

(٣) تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) ٦/ ١٩٩.

(٤) تفسير البسيط للواحدي (٧/ ٥٩٩).

عليهم ، أن يرزقهم الله تعالى الكثير من حيث لا يحتسبون ،ومعنـى كونهـا سـماوية أن الله تعـالى بارك في طعامهم بطريقة غير معروفة ولا مألوفة [١]

وما ذكره الدكتور ـ عفا الله تعالى عنا وعنـه ـ يحتـاج إلى إعـادة نظـر ، لأن اللفـظ القـرآني عـبر بالنزول ، وصرح بكونها من السماء مرتين ، في طلب الحواريين ، وفى دعاء عيسى عليه السـلام ،ولا يجوز الخروج عن ظاهر اللفظ من غير ضرورة ، وليس هنا أدنى ضرورة تـدعونا إلى تـرك ظاهر اللفظ ولى عنقه . وظاهر النص يؤكد تحقق النزول من عدة وجوه:

الأول: أن قوله تعالى: " إني منزلها" جواب دعاء عيسى عليه السلام كما أن سؤال عيسى إجابـة للحواريين، وهذا يوجب أنه قد أنزلها[٢]

الثاني: تأكيد الإجابة بكلمة التحقيق " إن" في " إني منزلها" تحقيقاً وتأكيداً للنزل، وجعل خبر " إن" " منزلها" اسماً، والاسم يفيد الاستمرار والدوام، أي منزلها مرات كثيرة

الثالث: جاء الجواب بصيغة التفعيل " منزلها" أي: فعل الإنزال

والتفعيل تفيد تحقيق الفعل على أتم أحواله كما تقول: التغليق فهو غلق في أحكام، أما الإغلاق، فهو مجرد الغلق.

الرابع: التعبير بنون الإفراد" إني" يؤكد أن المائدة نازلة لا محالة ولا يستطيع أحد عـلى ذلـك إلا الله تعالى وحده.(٥)

(١) قصص الأنبياء :عبد الوهاب نجار، مكتبة دار التراث -القاهرة ، ص (٤٩٠ ـ ٤٩٣) .

(٢) تفسير القرطبي (٦/ ٣٦٩).

(٥) تفسير الألوسي (٥/ ١٩١)

المطلب الرابع : ما حوته المائدة

ذكر بعض المفسرين حول ما حوته المائدة من أصناف الطعام أخباراً كثيرة أغلب الظن أنه مشكوك فيها، مع التأكيد على أن أصل القصة ثابت بنص القرآن الكريم فقد روى الطبري (ت ٣١٠) بعض الروايات في هذا الشأن منها: عن عطية قال: المائدة نزلت سمكة فيها طعم كل طعام ... وعن أبي عبد الرحمن: نزلت خبزاً وسمكاً ... وعن أبي اسحاق بن عبد الله: نزلت عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات[١]

وذكر البغوي (ت)، عن كعب الأحبار: عليها كل الطعام إلا اللحم ... وعن ابن عباس: أنزل على المائدة كل شيء إلا الخبز واللحم... وقال الكلبي: فيها خبز ورز وبقل [٢]

فهذه كلها روايات متناقضة، لا تتفق على شيء، مما يدل على عدم صحتها وأنها روايات دخيلة، وليس مصدرها إلى المعصوم- صلى الله عليه وسلم-[٣]

وروى ابن أبي حاتم (ت٣٢٨ه) في تفسيره [٤] رواية طويلة عن سلمان الفارسي:..... فإذا عليها سمكة ضخمة شوية، ليس عليها بواسير[٥] وليس في جوفها شوك، يسيل السمن منها، قد نضد حولها بقول من كل صنف غير الكراث، وعند رأسها خل، وعند ذنبها ملح، وحول البقول خمسة أرغفة، على واحد منها زيتون، وعلى الآخر تمرات، وعلى الآخر خمس رمانات،

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ١٣٧.

(٢) معالم التنزيل (تفسير البغوي (٢/ ١١٩).

(٣) الإسرائيليات لأبي شهبة ٣٢٩.

(٤) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦١)

(٥) بواسير (المرض المعروف)

وفي رواية: على كل واحد منها زيتون، وعلى الثاني عسل، وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن، وعلى الخامس قديد......"[١].

قال ابن كثير (ت٧٧٤ه) بعد ذكره لهذه الرواية: هذا أثر غيب جداً قطعه ابن أبي حاتم في مواضع من هذه القصة، وقد جمعته أنا ليكون سياقه أتم وأكمل، والله سبحانه وتعالى أعلم" [٢]

وقد شكك في هذه الرواية الإمام القرطبي (ت٦٦١ه) فقال معقبا بعد ذكره لها: قلت: في هذا الحديث مقال: ولا يصح من قبل إسناده[٣].

ولاشك أن الروايات الباطلة تصرف الناس عن الغرض الذي نزل القرآن من أجله، وتلهيهم عن التدبر في آياته، والانتفاع بعبره وعظاته، والبحث عن أحكام وحكمه إلى توافه لا خير فيها، والبحث عنها عبثاً محضاً، ومضيعة للوقت فيما لا فائدة من معرفته[٤].

وقد قال الإمام مالك (١٧٩ه) : " شر العلم الغريب، وخير العلم الظاهر الذي قد رواه الناس"[٥].

وروي عن الزهري (ت١٢٤ه) أنه قال: ليس العلم مالا يعرف (أي: الغريب) إنما العلم ما عرف، تواطأت عليه الألسن[٦]

وقد يتعجب المرء كيف للأئمة التفسير- على جلالة قدرهم- كابن جرير الطبري يذكرون هذه الروايات في تفاسيرهم، فقد اعتذر لهم بعض الباحثين بأنهم يذكرون هذه الروايات مسندة

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٥/ ١٦٢).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٣٠).

(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٣٧٢).

(٤) الاسرائيليات في التفسير والحديث د/ محمد حسين الذهبي ص ص ٣٣، ٣٤.

(٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ١٠٠).

(٦) الجامع لأخلاق الراوي للبغدادي (٢/ ١٠١).

تاركين لقارئها مهمة نقدها عملاً بالقاعدة المقررة عند علماء الحديث من أسند لك فقد حملك[1].

ولعلهم اعتبروا ذلك مما يباح روايته، ويحتمل الصدق والكذب فذكروه من غير إنكار له[2].

وقد اعتذر الألوسي عن نفسه فقال عند تفسيره لقول الله تعالى : " وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ" (٨٢/ النمل)

إنما نقلنا بعضاً من ذلك- أي الروايات الباطلة في شأن الدابة- دفعاً لشهوده من يجب الاطلاع على كل شيء من أخبارها صدقاً كان ، أو كذباً[3].

وعند قوله تعالى: " وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ" (١٢/ لقمان)

يقول بعد ذكره شيئاً من أخبار لقمان؛ ولا وثوق لي بشيء من هذه الأخبار،... إنما نقلتها تأسياً بمن نقلها من المفسرين الأخيار[4].

وهذا الاعتذار ليس في محله- عفا الله عنه- لأن الأصل في المسلم أن يقف عندما وقف الله- تعالى عنده من الأخبار، ولا تدافعه نفسه إلى معرفة مالم يذكر في الآية من تفاصيل الجزئيات، لأنه لو كان في هذه التفاصيل نفع لتفضل الله به- تعالى- علينا.

ثم إن أراد أن يدفع شهوة التطلع إلى التفاصيل، فلا يدفعها بالباطل من القول بل بما صح عن المعصوم- صلى الله عليه وسلم.

---

(١) الاسرائيليات في التفسير والحديث للذهبي ص ٩٥.

(٢) الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة ص ١٩٥

(٣) تفسير الألوسي (١٥/ ٤٤).

(٤) تفسير الألوسي. (١٥/ ٤٣٣).

والنفس البشرية تحب الإحاطة بكل شيء، ولو قلنا إنه يجوز لها أن تسلك كل سبيل للمعرفة والإحاطة- بصرف النظر عن صدقه وكذبه- فإنه بهذا يكون مخالفاً لقول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا " (الحجرات/ ٦)

والأخبار الكاذبة- إن علم كذبها فلا يخرجها عن كذبها نقل الأخبار لها على أنه ليس الشأن في المفسرين أنهم ينقلون الروايات الباطلة، بل أحياناً كانوا ينقلونها بغرض كشف زيفها وإظهار بطلانها.

فهذا شيخ المفسرين الطبري لم يهتم بالتفاصيل التي ذكرها في روايات قصة المائدة، فيقول بعد ذكره لهذه الروايات: وأما الصواب من القول فيما كان على المائدة، فأن يقال: كان عليها مأكول ،جائز أن يكون سمكاً وخبزاً، وجائز أن يكون ثمراً من ثمار الجنة، وغير نافع العلم به، ولا ضار الجهل به، إذا أقرت إلى الآية بظاهر ما احتمله التنزيل[1].

نعم فاغلب هذه الروايات ليست بذي فائدة، يقول ابن عاشور: وقد وقفت سؤال المائدة عند هذا المقدار، وطوي خبر ماذا حدث بعد نزولها؟ لأنه لا أثر له في المراد من القصة، وهو العبرة بحال إيمان الحواريين وتعلقهم بما يزيدهم يقيناً ويقربهم إلى ربهم وتحصيل مرتبة الشهادة على من يأتي من بعدهم، وعلى خرافة المسيح الدالة على عبوديته، وعلى كرامته عند ربه إذ أجاب دعوته وعلى سعة القدرة وأما تفاصيل ما حوته المائدة، وما دار بينهم عند نزولها فلا عبرة فيه[2].

---

(١) تفسير الطبري ١١/ ٣٢٣.

(٢) التحرير والتنوير (٧/ ١١١).

المطلب الخامس : العبرة من قصة المائدة

لم يقص الله تعالى علينا قصة المائدة لمجرد التسلية، وإنما للعبرة والاستفادة ،والعبرة من القصة القرآنية ليست لزمن دون زمن، ونحن في عصرنا في أشد الحاجة إلى هذه العبرة والدرس " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (١١١/ يوسف) فالعبرة تعني: الانتقال من جانب إلى جانب آخر كقولك: عبر النهر أي : انتقلت من الشاطئ إلى الشاطئ الآخر[١] فالقصة تنقلك من حالة إلى حالة، من حالة الكفر إلى الإيمان، من حالة المعصية إلى الطاعة ومن أهم العبر من سؤال إنزال المائدة.

١- التأكيد على وحدانية الله تعالى، وإبطال عقيدة التلبث، فالحواريون يعرفون أن عيسى عليه السلام، ليس إلهاً، ولا ابن إله، ولكنه بشر كسائر الناس، وأنه امتلك كل الصفات البشرية، وأنه ليس هو الذي يصنع المعجزات، وإنما يضعها الله تعالى. ولذلك نادوه باسمه العلم مضافاً إلى أمه " يا عيسى بن مريم" لتأكيد بنوه المسيح، وقد أشار القرآن الكريم إلى بنوه عيسى في ستة عشر موضوعاً، مثل قوله تعالى" يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ " (١٧١/ النساء)

٢- وجوب إفراد الله تعالى بالدعاء، والتوكل عليه، والرجاء منه، وهذا واضح في إقبال عيسى- عليه السلام- إلى ربه بالدعاء والتضرع إليه، فقد روي أنه لما رأى أن غرض الحواريين غرضاً صحيحاً قام فألقى عنه الصوف، ولبس الشعر الأسود، ثم توضأ واغتسل ودخل مصلاه، فصلى ما شاء الله تعالى، فلما قضى صلاته قام قائماً مستقبل القبلة وصف قدميه حتى

---

(١) لسان العبر ٤/ ٥٣٩ مادة عبر.

استويا فالصق الكعب بالكعب وحازي الأصابع بالأصابع، ووضع يده اليمنى على اليسرى فوق صدره وغض بصره، وطأطأ رأسه خشوعاً، ثم أرسل عينيه بالبكاء، ثم دعا الله تعالى[١]

وفي إقباله عليه السلام عل الله تعالى بالدعاء يكرر النداء " اللهم ربنا" فقوله " اللهم" الأصل يا الله، وعندما كثر النداء به حذف حرف النداء وعوض عنه الميم في آخرها[٢].

هذا التكرير ينبئ عن كمال الضراعة والابتهال إلى الله تعالى، ثم زاد في الدعاء بما لم يخطر على بال السامعين من الأمور الداعية إلى الإجابة والقبول[٣].

ثم طلب من فضل ربوبية الله تعالى أن يرزقهم، ويلح في الرجاء " وارزقنا وأنت خير الرازقين" أي: أعطنا من عطائك، فإنك يا رب خير من تعطي، وأجود من تفضل، لأنه لا يدخل عطاءك من ولا نكد،فأنت سبحانك خالق الأرزاق ومعطيها بغير عوض[٤].

٣- الأدب مع الله- تعالى- حين ندعوه ونناجيه، فعيسى عليه السلام حين نادى ربه جمع بين النداء باسم الذات " اللهم" الجامع لصفات الجلال والكمال، وبين النداء بوصف الربوبية" ربنا" المنبئة عن التربية، إظهاراً لغاية الخضوع والتضرع ومبالغة في الاستدعاء والاستعطاف،.[٥] فتعلق قلبه بمناجاة الله- تعالى- معترفاً بالعبودية ملتزماً مفوضاً أمر التدبير إليه أي: يا من أنزلت علينا التكاليف، ويا من تتولى تربيتنا نحن ندعوك أن تنزل علينا مائدة من السماء.

(١) تفسير الألوسي (٥/ ١٨٩).

(٢) تفسير المخازن (٢/ ٣٥٨).

(٣) تفسير أبي السعود (٢/ ٣١٧).

(٤) أبي السعود (٢/ ٣٣٧).

(٥) تفسير الألوسي (٥/ ١٩٠) والمنار (٧/ ٢١١). (٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٢٥)

٤- إظهار قدر أصحاب النبي- صلى الله عليه وسلم- حيث أنهم آمنوا ولم يتقرحوا إنزال آيات، فقد أشاد الله- تعالى- بإيمانهم فقال- سبحانه- " لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا" (١٨/ الفتح) بخلاف أصحاب عيسى- عليه السلام- آمنوا واقترحوا الآيات. فكلا الفريقين مؤمن بيد أنهم مختلفون في درجة الإيمان.

٥- امتنان الله تعالى على النصارى المعاصرين للنبي محمد- صلى الله عليه وسلم- في عناية الله تعالى بإجابة طلب سلفهم، الأمر الذي يدعوهم إلى الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم.

٦- سعة قدرة الله تعالى- يقول ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): هذه قصة المائدة وإليها تنسب السورة وهي مما امتن الله تعالى على عبده ورسوله عيسى عليه السلام، لما أجاب دعائه بنزولها، فأنزلها الله تعالى آية ودلالة معجزة باهرة وحجة قطعة. (٢)

٧- والعبرة منها على رأي القائلين بعدم النزول تنبيه المؤمنين إلى أنه لا ينبغي أن يحكموا التي يقترحونها في إيمانهم، وأن لهم فيما يظهره الله تعالى من الآيات كفاية " أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ " ٥١/ العنكبوت وأن يخشوا عاقبة الآيات المقترحة.

المبحث الثالث : إيمان الحواريين .

وتحته مطلبان :

المطلب الأول : الآيات التي تحدثت عن إيمان الحواريين .

المطلب الثاني : موقف المفسرين من إيمان الحواريين .

المطلب الأول : الآيات التي تحدث عن إيمان الحواريين

ذكر الله تعالى في سورتي آل عمران والصف ما يدل صراحة على إيمان الحواريين ، ولم يذكر أحد من المفسرين خلافا في إيمانيهم ، عند تفسيرهم آيات الحواريين في هاتين السورتين .

أولا :سورة آل عمران (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِّ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِّ آمَنَّا بِاللهِّ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللهُّ وَاللهُّ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤) (آل عمران) .

فتشير الآيات أن عيسى ـ عليه السلام ـ لما تيقن من استمرار بنى اسرائيل على الكفر ،بعد ما رأوا من الآيات ما رأوا ،قال لهم (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِّ) فأجابه الحواريون دون تردد (نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِّ) نحن الذين سنقف بجانبك لنصرة الله تعالى ،لأننا (آمَنَّا بِاللهِّ) ، ثم طلبوا من عيسى عليه السلام أن يكون شاهدا لهم عند الله تعالى بأنهم أخلصوا العبادة لله تعالى ،ثم أعلنوا ضراعتهم إلى الله تعالى (رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ) ، وغنى عن البيان أن هذه الأقوال تدل عمق إيمانهم ،وصدق يقينهم .

ثانيا سورة الصف (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِّ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِّ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِّ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ (الصف/ ١٤)

يقول ابن كثير : يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم، وأن يستجيبوا لله ولرسوله، كما استجاب الحواريون لعيسى حين قال: (مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِّ) ؟ أي: معيني في الدعوة إلى الله عز وجل [١] ،فأعلن الحوارين (نَحْنُ أَنْصَارُ) أي : نحن الذين نؤيد ونؤازر دين الله تعالى ن ونعاونك في الدعوة إلى الله تعالى ،ولما قال الحواريون ذلك ، آمنت فرقة من بنى اسرائيل بعيسى ـ عليه السلام ـ وبما جاء به '

---

(١) تفسير ابن كثير ، ٨/ ١١٣ .

وكفرت فرقة أخرى به وبرسالته ،فأيد الله تعالى من آمن به على من كفر بـه ، فأصـبح المؤمنـون هم الغالبون لأعدائهم بفضل الله تعالى .

فالحواريون في هذه الآيـة يعلنـون الاسـتجابة المطلقـة لنصرـة ديـن الله تعـالى وبـذل نفوسـهم وأموالهم في سبيل الله،فهذا يدل على قوة إيمانهم وصفاء قلوبهم ، ونقاء سريرتهم .

المطلب الثاني : اختلاف المفسرين في إيمان الحواريين

رأي القائلين بعدم إيمانهم وأدلته.

أجرى هذا الفريق آية السؤال "هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ " على ظاهرها، وجعلها أصلاً في معرفة حال الحواريين، فاللفظ على ظاهره يوحي بالشك في قدرة الله تعالى في إنزال مائدة من السماء، وفي إسناد كلمة " رب" إلى عيسى عليه السلام خاصة ينبئ بعدم إيمانهم بربوبيته، كضيع فرعون في إسناد كلمة إله إلى موسى عليه السلام " (لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى) ٣٨ / غافر، وترددهم في الإيمان" ونعلم أن قد صدقتنا" ، وعدم وثوق عيسى عليه السلام بإيمانهم " إن كنتم مؤمنين".

هذا ما حدا بأصحاب هذا الرأي إلى القول بأن الحواريين غير مؤمنين لأنهم شاكين في قدرة الله تعالى وفي صدق عيسى عليه السلام.

يقول الزمخشري (ت ٥٣٨): فإن قلت: كيف قالوا:(هل يستطيع ربك) بعد إيمانهم وإخلاصهم؟ أي في قولهم" آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ"- قلت: ما وصفهم الله تعالى بالإيمان والإخلاص، وإنما حكى ادعاءهم لهما، ثم اتبعه قوله، " إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع..." فآذن أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين، وقوله " هل يستطيع ربك" كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم، وكذلك قول عيسى – عليه السلام- لهم معناه: اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ... " إن كنتم مؤمنين" إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة[1].فالزمخشري اعتبر الظرف في قوله " إذ قال الحواريون" متعلق بقوله " آمنا بالله واشهد بأننا مسلمون" يعني ظرف " لقالوا"، مقصوده التنبيه على أن ادعاءهم الإيمان والإخلاص لم يكن عن تحقيق واتقان[2].

---

(١) تفسير الكشاف (٢/ ٨٢).

(٢) تفسير أبي السعود (٢/ ٣١٤).

أي ادعوا الإيمان واشهدوا الله على أنفسهم أنهم مسلمون مخلصون في إيمانهم في الوقت الذي قالوا فيه ما ينافي ذلك وهو قولهم: " يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ " المائدة[1].

رأي القائلين بإيمانهم وأدلته

ذهب أكثر أهل التفسير إلى أن الحواريين كانوا مؤمنين، حتى إن ابن عطية (ت ٥٤٢) قال: ولا خلاف أحفظه في أن الحواريين كانوا مؤمنين[2] فهم يعتبرون أن الظرف في قوله تعالى" إذ قال الحواريون" غير متعلق بقوله تعالى : " قالوا آمنا" بل متعلق بفعل محذوف تقديره اذكر أي : اذكر يا محمد لقومك وقت قول الحواريين ، المقالة المعدودة من نعم الله تعالى الفائضة على عيسى عليه السلام[3].

حيث جعل الله تعالى الإيحاء إلى الحواريين بالإيمان من نعمه تعالى على عيسى ضمن نعمه الأخرى عليه " وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي" فالسياق امتنان الله تعالى على عيسى وعلى والدته بنعم الله عليهما " إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي..." إلى قوله بطريق العطف على النعم وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي..."

---

(١) تفسير المنار (٧/ ٣٠٨).

(٢) المحرر الوجيز " تفسير ابن عطيه، (٢/ ٣٧٠).

(٣) تفسير أبي السعود (٢/ ٣١٤).

يقول ابن عطية (ت٥٤٢ه) قوله تعالى: إذ قال الحواريون..." اعتراض مقصوداً به إخبار النبي محمد صلى الله عليه وسلم وأمته بنازلة الحواريين في المائدة، إذ هي مثال نافع لكل أمة مع نبيها[١] "

فقوله : " إذ قال الحواريون... " ليس ظرفاً لـ (قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون) كما ينبئ عنه الإظهار في موضع الإضمار[٢] يعني لو كان متعلقاً بقالوا آمنا. لكانت العبارة: إذ قالوا يا عيسى بن مريم، ولم يقل " إذ قال الحواريون" [٣] على أنه لو كانت ظرفاً لقالوا، فإن هناك تخريجا أليق بالمعنى وبالسياق، ذكره ابن عاشور (ت١٣٩٤ه) يقول: " إذا قال الحواريون..." ظرف متعلق بقالوا، وليس ذلك بمقتض أن سؤالهم المائدة حصل في أول أوقات إيمانهم، بل في وقت آخر قالوا:" آمنا واشهد بأننا مسلمون" فإن قولهم آمنا قد يتكرر منهم بمناسبات... أو يقولونه لإعادة استحضار الإيمان شأن الصديقين الذين يحاسبون أنفسهم ويصلقون إيمانهم فيقولون في كل معاودة: آمنا واشهد بأننا مسلمون، وأما قرره الزمخشري (ت٥٣٨ه) ومتابعوه فلا يحسن تفسير الكلام به[٤].

وإذا كان هذا الإيحاء إلى الحواريين من نعم الله تعالى على عيسى عليه السلام بأن جعل الله له أتباعاً يصدقونه ويعملون بما جاء به [٥] فلا يصح أن تكون دعوى الإيمان حينئذ من نعم الله تعالى على عيسى وهي كاذبة، ولا أن تكون من وحي الله تعالى[٦].

---

(١) المحرر الوجيز : (٢/ ٣٧٠).

(٢) تفسير أبي السعود (٢/ ٣١٤)

(٣) تفسير المنار (٧/ ٣٠٩).

(٤) التحرير والتنوير (٧/ ١٠٤).

(٥) تفسير البحر المحيط (٥/ ٥٦).

(٦) المنار (٧/ ٣٠٩).

٢- الإيحاء إليهم بالإيمان معناه: أمره تعالى إياهم به في الإنجيل على لسان عيسى عليه السلام، وقيل: إلهامه تعالى إياهم، كما في قوله تعالى: " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ " (القصص/ ٧)[١].

وما ألهمه الله تعالى لابد من وقوعه، فلو كانوا غير مؤمنين، والله تعالى يعلم منهم عدم الإيمان والتظاهر به، لكانوا من المنافقين الذين يسرون الكفر ويعلنون الإيمان، وما كانت سنة الله مع أنبيائه إلا أ يظهر لهم نفاق المنافقين، ويكشف حقيقة نواياهم، وليس من سنته، أن يجاريهم فيما يدعون دون أن يفضح لأنبيائه نفاقهم[٢].

" مَا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ "(آل عمران/ ١٧٩)

٣- الله تبارك وتعالى سماهم الحواريين، والحواريون هم الخلصاء والأنصار يقول النبي- صلى الله عليه وسلم- " الزبير بين عمتي وحواري من أمتي"[٣].

يقول ابن الأثير (ت٦٠٦): أي خاصتي من أصحابي وناصري، ومنه الحواريون: أصحاب المسيح عليه السلام، أي: خلصائه وأنصاره[٤]، ولا يعقل أن يسمهم الله تعالى حواريين، ثم يكون منهم عدم الإيمان والشك في قدرة الله تعالى وفي صدق عيسى عليه السلام.

٤- أن الله- تبارك وتعالى- أمرنا أن نقتدي ونتأسى بالحواريين في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ فَآمَنَتْ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ" (الصف/ ١٤) ، ولا يعقل أن يطلب الله تعالى من المؤمنين أن يكونوا من

(١) تفسير أبي السعود (٢/ ٣١٥).

(٢) تفسير سورة المائدة للمدني ومحمد شلتوت ص ٢٨.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣/ ١٠٧٩).

محمد صلى الله عليه وسلم كما كان الحواريون من عيسى عليه السلام إلا وهو- سبحانه- يعلم صدق إيمانهم وإخلاصهم لنبيه ولنصرته.

٥- أن قول الحواريين لعيسى عليه السلام" هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء" لا تنفي عنهم الإيمان، وللعلماء في بيان هذا توضيحات منها:

أ- أن السؤال كان لتحصيل الطمأنينة وليس الشك في قدرة الله تعالى، بدليل أن عيسى عليه لسلام قَبِل اعتذارهم بما ذكروا في سؤال المائدة " نريد أن نأكل منها"(١).

وأرادوا الجمع بين الحسي والمعنوي والنظري والمشاهد، كما ينبئ عنه قولهم" نريد أن نأكل منها" يقول القرطبي: (ت٦٦٥ه) الحواريون كانوا عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره، علم دلالة وخبر، فأرادوا علم معاينة كذلك، كما قال إبراهيم عليه السلام" رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمأن قلبي" (٢٦٠/ البقرة)، وقد كان إبراهيم عَلِمَ ذلك علم خبر ونظر، ولكن أراد المعاينة التي لا يدخلها ريب ولا شك؛ لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات، وعلم المعاينة لا يدخله شيء من ذلك(٢).

ب- أن السؤال عن الاستطاعة بحسب الحكمة الإلهية، لا بحسب القدرة، أي: هل ينافي حكمة ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء، أم لا، فإن ما ينافي الحكمة لا يقع(٣).

ج- إن الاستطاعة هنا بمعنى الإطاعة، والمعنى، هل يطيعك ربك ويجيب دعاءك إذا سألته ذلك؟(٤)

---

(١) تفسير الخازن (٢/ ٣٥٨)، وتفسير أبي السعود (٢/ ٣١٤).

(٢) القرطبي (٦/ ٣٦٥).

(٣) البسيط للواحدي (٧/ ٥٩٠).

(٤) تفسير البغوي (٣/ ١١٧).

وقد يظن ظانُ أن هذا التخريج فيه تكلف بعيد، والواقع أنه ليس كذلك إذ اللغة تؤكده، يقول أبو الهلال العسكري. (ت٣٩٥ه): وجاء الاستطاعة بمعنى الإجابة في قوله تعالى: " هل يستطيع ربك"(١).

وجاء في تاج العروس: يستطيع بمعنى: يجيب(٢)

ويقول الراغب الأصفهاني (٥٠٢) في مفردات غريب القرآن: " هل يستطيع" : بمعنى هل يجيب؟(٣)

فحاصل المعنى: هل يرضى ويجيب ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء إذا نحن سألناه أو سألته لنا ذلك(٤).

د- وقيل: قوله: " هل يستطيع ربك..."ليس منظوراً فيه إلى صريح المعنى المقتضي أنه يشك في استطاعة المسئول، بل المعنى: أنك تطلب العذر له إن لم يجبك إلى مطلوبك، وأن السائل لا يحسب أن يكلف المسئول بما يشق عليه، وإنما يقول ذلك الأدنى للأعلى منه، وفي شيء يعلم أنه مستطاع للمسئول، فقرينة الكناية تحقق المسئول أن السائل معلم استطاعته، ومنه ما جاء في حديث يحيي المازني: أن رجلاً قال لعبد بن زيد: أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله يتوضأ" (٥) فإن السائل يعلم أن عبد الله بن زيد لا يشق عليه ذلك، فليس قول الحواريين

---

(١) الفروق اللغوية ص ٤٧.

(٢) تاج العروس ٢١/ ٤٦٤ مادة طوع.

(٣) مفردات غريب القرآن ص ٣١١

(٤) تفسير المنار (٧/ ٣١٠).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء باب مسح الرأس كله، ومسلم في كتاب لطهارة باب في وضوء النبي- صلى الله عليه سلم.

المحكي بهذا اللفظ في القرآن إلا لفظاً من لغتهم يدل على التلطف والتأدب في السؤال، كما هو مناسب أهل الإيمان الخالص، وليس شكاً في قدرة الله تعالى(٦).

هـ- ذكر القرطبي (ت ٦٦١هـ) أن هذا قول من كان مع الحواريين وليس قول الحواريين، على اعتبار أن عيسى عليه السلام كان إذا خرج تبعه خمسة آلاف من
أصحابه وغيرهم(٧).

وقد استحسنه، بيد أن هذا الرأي يحتاج إلى إعادة نظر؛ لأن اللفظ القرآني واضح في أن القائل هم الحواريون.. والله أعلم.

و- قرأ " هل تستطيع" بالتاء خطاباً لعيسى عليه السلام، وهي قراءة ابن عباس، وعلي، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والكسائي(٨)

والمعنى على هذه القراءة: هل تستطيع يا عيسى أن تسأل ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء، وهذه القراءة لا إشكال فيها، لأن الاستطاعة منصرفة إلى عيسى.

وأما قوله" اتقوا الله إن كنتم مؤمنين" أي: اتقوا الله وقوموا بما وجبه الإيمان من العمل والتوكل عسى أن يعطكم ذلك من باب قوله تعالى "وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ) (٢-٣ / الطلاق) .

---

(٦) التحرير والتنوير (٧/ ١٠٥)

(٧) ينظر : القرطبي (٦/ ٣٦٤).

(٨) ينظر: اتحاف فضلاء البشري في القراءات الأربعة عشر لأحمد الدمياطي ١/ ٢٥٧.

الخاتمة

وبعد ..

فقد ظهر أن رأى القائلين بإيمان الحواريين هو القول الفصل، وذلك لقوة أدلته التي لا يعكر صفوها ما أثاره المخالفون لهم ، وهى أدلة سلمت من كل نقد ،فضلا عن ما ينبئ عنه المعنى اللغوي لكلمة (الحواريين) فهم الذين أخلصوا ونقوا من كل عيب ،ولا شك أن أخطر العيوب عدم الإيمان بالله تعالى .

والحواريون حين طلبوا نزول المائدة لم يدفعهم إلى ذلك الشك في قدرة الله تعالى ،وإنما للأكل منها لدفع الجوع ، ولضم الدليل الحسى إلى الدليل المعنوى ، وللشاهدة بطلاقة قدرة الله تعالى أمام الذين لم يشاهدوا نزولها .

ولا فائدة بمحاولات الكشف عما حوته المائدة لأنه لا أثر له في العبرة من القصة ، ولو علم الله تعالى أن في هذه التفاصيل نفعا لتفضل بها علينا .

ومن أعظم العبر من قصة المائدة ،اللجوء إلى الله تعالى _ وحده ـ لقضاء حوائجنا (اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء)، ومناجاته وإظهار كما الضراعة ، والابتهال إليه سبحانه ، والالحاح في الدعاء (وارزقنا وأنت خير الرازقين)

ابطال عقيدة الثليث ، فالحواريون نادوا عيسى عليه السلام باسمه العلم مضافا إلى أمه (يا عيسى ابن مريم) لتأكيد بنوة المسيح

في قصة المائدة امتنان من الله تعالى لعيسى ابن مريم ، حيث أجاب دعائه بنزولها آية ومعجزة باهرة وحجة قاطعة .

أهم المصادر والمراجع :

ــ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري

ـ التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)،الدار التونسية للنشر – تونس ،١٩٨٤ هـ

ــ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: ٣٩٢هـ)وزارة الأوقاف-المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م

ـ المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) ،ة المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

ــ تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) ، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ م

ـــ جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) ، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

ـــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية،دار الكتب العلمية – بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

ـ زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي ،دار الكتاب العربي – بيروت ، ١٤٢٢ هـ

ـــ لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت ، ١٤١٤ هـ

ـ الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) ، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ،: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

ـــ العين ، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، تحقيق / مهدي المخزومي ، دار ومكتبة الهلال .

ــ الفروق اللغوية ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ) ، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم ، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر

ــ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) ،المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت الأولى – ١٤٢٢ هـ

ــ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)

ــ النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) ،المكتبة العلمية – بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م

ــ أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) ، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الأولى – ١٤١٨ هـ

ـــ تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ،أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ) ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

ـ تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) ،المحقق: سامي بن محمد سلامة ،دار طيبة للنشر والتوزيع ، الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م

ــ لباب التأويل في معاني التنزيل ، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: ٧٤١هـ)تصحيح: محمد علي شاهين ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ

ـ معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، محيي السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : ٥١٠هـ) ،المحقق : عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت الأولى ، ١٤٢٠ هـ

ـ صحيح البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ،المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر ،دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ١٤٢٢ه .

ــ معجم مقاييس اللغة ، لابن فارس ، تحقيق : عبدالسلام هارون ، طبعة الحلبى ، الطبعة الثانية .

ـــ تاج العروس من جواهر القاموس ، للسيد مرتضى الزبيدي ،تحقيق : عبدالكريم الغرباوي ،طبعة وزارة الإعلام بالكويت.

ــ تهذيب اللغة ، محمد بن أحمد الأزهري ،تحقيق :عبدالله درويش ،الدار المصرية للتأليف والترجمة .

ــ أساس البلاغة ،للزمخشري ،دار الكتب ـ مصر .

ــ فتح البارى شرح صحيح البخارى ، أحمد بن على بن حجر العسقلانى ، دار المعرفة ـ بيروت .

ـ الفائق في غريب الحديث ، الزمخشري ، دار المعرفة ـ لبنان .

ــ المحيط في اللغة ، الصاحب بن العباد ' تحقيق محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب

ــ البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، جمعية إحياء التراث الإسلامي - الكويت – ١٤٠٧ .

ــ طبقات المفسرين ،عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ،مكتبة وهبة – القاهرة الطبعة الأولى ،١٩٣٦هـ.

ــ طبقات المفسرين ، أحمد بن محمد الأدنروي ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة المنورة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٧م ، تحقيق سليمان الخزي .

ــ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين .

ــ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ،تحقيق إحسان عباس ، دار صادر – بيروت .